فلُورَنسَا مدينةُ الحِوارِ والتَّفاهُمِ

دَارْيُو نَارْدِيلَّا(*)

بِاسْمِ مدينةِ «فلورنسا» وكلِّ المجتمعاتِ التي تَنتمي لهذا الإقليمِ، أَوَدُّ أن أُوجِّهَ الشُّكر الجزيل والترحيب الحارَّ بالشَّخصيَّاتِ البارِزةِ، الَّتي اجتمَعَت هنا مِن أجلِ هذا اللِّقاءِ ذي الأهمِّيَّةِ الكبيرةِ، وأيضًا إلى كلِّ الضُّيوفِ الَّذينَ وَصَلُوا إلى هُنا، ويَحضُرونَ الآنَ في قصرِ «فِيكْيُو».

نَتساءَلُ اليومَ، كما نَتساءَلُ كلَّ مرَّةٍ في مدينةِ «فلورنسا»، وفي أجزاءٍ أُخرى مِن العالَمِ، حيثُ تَجتمِعُ شخصيَّاتٌ كثيرةٌ ومختلِفةٌ: هل يُوجَدُ مكانٌ تَزدادُ فيه الصِّراعاتُ حِدَّةً، وتَتعقَّدُ الانقساماتُ، وتَفقِدُ فيه الحروبُ كلَّ مَعنًى، هل يُوجَدُ مكانٌ ملموسٌ لأجلِ السَّلامِ؟

إنَّني كثيرًا ما أَقترِحُ هذا السُّؤالَ، ويُسعِدُني أن أَطرَحَهُ الآنَ مَعَكُم.

إنَّني أعتقدُ أنَّنا نستطيعُ أن نقولَ: إنَّ مِثلَ هذا المكانِ موجودٌ، حتَّى لو لم يَكُن موجودًا وجودًا حسِّيًّا، لكن بالتَّأكيدِ هو مكانٌ في العقلِ، هو ذلك المكانُ الَّذي فيه الرِّجالُ والنِّساءُ يَتخَلَّونَ عن المواجهةِ، ويَختارُونَ الحِوارَ، بالضَّبطِ كما قالَ مُنذُ لحظةٍ «الأب فيتوريو يناري»(*)، هو ذلك المكانُ الَّذي تَتَواجَهُ فيه الأفكارُ، ولا يُلغي بعضُها بعضًا، بل تَتلامَسُ، وتُحاوِلُ أن تَبحَثَ عن نقاطِ اتِّصالٍ مِن شأنِها أن تَجعَلَ التَّقابُلَ والحِوارَ أمرًا مُمكِنًا.

إنَّ الطُّموحَ العظيمَ الَّذي دَفَعَهُ إلى الأمامِ جماعة «سانت إيجيديو» ومجلس حُكَمَاء المسلمين أُوجِّهُ له في الحقيقةِ شكرًا حارًّا، ولأجلِ تنظيمِ هذا اللِّقاءِ.

أعتقدُ أيضًا أنَّه مِن الممكنِ أن نُغيِّرَ مكانَ الحوارِ، أي المكانَ الَّذي فيه تَتقابَلُ الاختلافاتُ الثَّقافيَّةُ والدِّينيَّةُ، وأيضًا السِّياسيةُ، إلى مكانٍ جغرافيٍّ محسوسٍ.

يَرُوقُني أن تُصبِحَ «فلورنسا» دائمًا مِن أَكثرِ المُدُنِ الَّتي تُصبِحُ فيها كلُّ الحروبِ غيرَ مُمكِنةٍ؛ وذلك مِن خِلالِ الاتِّصالِ والحِوارِ والكلمةِ والثَّقافةِ، وأن تكونَ المدينةُ الَّتي تُصبِحُ فيها الثَّقافةُ -مِثلُ تلك الثَّقافةِ الَّتي نَتنَفسُّها الآنَ في هذه الصَّالةِ فائقةِ الجمالِ- هي الاسمَ الجديدَ الَّذي يجبُ أن يُعطَى للسَّلامِ.

يَرُوقُني أيضًا أن تُصبِحَ «فلورنسا» الَّتي يَتشارَكُ فيها النَّاسُ، ويَنضمُّونَ إلى الحوارِ، وإلى إمكانيَّةِ التَّقارُبِ وتقريبِ مواضعِ السَّفرِ البعيدِ، وبوضوحٍ أكثرَ: تقريبِ النِّقاطِ الَّتي لا يُمكِنُ التَّصالُحُ بشأنِها، وتقويةِ إمكانيَّةِ اكتشافِ الثَّروةِ، ثروةِ أيٍّ منَّا.

يَرُوقُني أيضًا -أصدقائي الأعزَّاءَ والضُّيوفَ البارزونَ- أن تكونَ «فلورنسا» ليسَت فقط لي ولا لأهلِ الإقليمِ، بل تكونُ تراثًا لكلِّ الإنسانيَّةِ، وأن تُصبِحَ «فلورنسا» بالنِّسبةِ للجميعِ هي مدينةَ السَّلامِ ومدينةَ الالتقاءِ.

هناك أشياءُ كثيرةٌ هامَّةٌ تَحدُثُ في «فلورنسا»؛ منذُ أسبوعٍ مَضى استَقبَلنا مُمثِّلي القُدسِ الدِّينيِّين الكِبارَ، واستَقبَلنا أيضًا البابا القبطيَّ، وفي هذه الأيَّامِ نَستقبِلُ بعضًا مِن الشَّخصيَّاتِ الهامَّةِ الَّتي تُمثِّلُ الشَّرقَ، تُمثِّلُهُ مِن وجهةِ النَّظَرِ الدِّينيَّةِ والثَّقافيَّةِ، هذا إلى جانبِ مُمثِّلي الغربِ الرَّسميِّينَ والثَّقافيِّينَ، وفي نوفمبر القادمِ سوفَ تكونُ لدينا زيارةُ الأبِ قَداسةِ البابا «فرانشيسكو» هنا في «فلورنسا»، ولأوَّلِ مرَّةٍ.

أعتقدُ عمومًا، وأقترحُ عليكم جميعًا، أن نُكمِلَ طريقَ «فلورنسا» معًا، كما قالَ قبلُ السَّيِّدُ «لابيرا»، الطَّريقَ الَّذي يُشبِهُ الطَّريقَ مِن مصرَ إلى سوريا، والسُّوريُّ يُصبِحُ ثريًّا في مصرَ، والمصريُّ يذهبُ إلى سوريا، والكل يخدمون الرب، الطَّريقَ الَّذي يُشيرُ إليه القرآنُ بهذه الكلماتِ: [قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون] [آل عمران: ٦٤].

طريقُ «فلورنسا» طريقٌ عالميٌّ، نحن وأنتم جميعًا تستطيعونَ أن تَتعارَفُوا، واليومَ مدينتُنا تَفتَحُ أحضانَها لكم جميعًا؛ لأجلِ هدفٍ عظيمٍ وهامٍّ هو السَّلامُ والحوارُ.